علاقة صوت الكلمة بمعناها

يعد الصوت أصغر وحدة لسانية في أي لغة لسانية،والتعرف عليه يعتبر اللبنة الاولى في فهم اللغة،فهو"المادة الخام في الكلام اللساني"[1]

-تعريف الصوت:

لغة: ورد في لسان العرب ما مفاده"صاتَ يَصُوتَ ويَصاتُ صَوتاً، وأَصاتَ، وصَوَّتَ به: كلُّه نادَى.

ويقال: صَوَّتَ يُصَوِّتُ تصْويتاً، فهو مُصَوِّتٌ، وذلك إذا صَوَّتبإنسانٍ فدعاه. ويقال: صاتَ يَصُوتُ صَوتاً، فهو صائت، معناه صائح. ابن السكيت: الصوتُ صوتُ الإنسان وغيره. والصائتُ: الصائح. ابن بُزُرْجَ: أَصاتَ الرجلُ بالرجل إذا شَهَّره بأَمر لا يَشْتَهيه. وانْصاتَ الزمانُ بهانْصِياتاً إذا اشْتَهر."[2]

اصطلاحا:" الآثر السمعيُّ الحاصل من احتكاك الهواء بنقطة ما من نقاط الجهاز الصوتي عندما يحدث في هذه النقطة انسداد كامل أو ناقص ليمنع الهواء الخارج من الجوف من حريَّة المرور، مثل الباء التي هي نتيجة انسداد كامل في الشفتين، ومثل السين التي هي نتيجة انسداد ناقص في أطراف الآسنان"[3]

ويعرف أيضا:" عمليَّة حركيَّة يقوم بها الجهاز النطقي و تصحبها آثار سمعيَّة مُعيَّنة تأتي من تحريك الهواء فيما بين مصدر إرسال الصوت وهو الجهاز النطقي ومركز استقباله وهو الآذن"[4]

وعادة ما يخلط بين الصوت والحرف؛ولهذا وجب التفريق بينهما

تعريف الحرف:

لغة: عند ابن منظور هو"" والحرف في الأصل : الطرف والجانب ".5

واصطلاحا:يعرفه ابن جني بقوله:" اعلم أنَّ الصوت عَرَضٌ يخرج مع النَّفس مُستطِيلا مُتَّصِلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه على امتداده، واستطالته، فيُسمَّى المقطع أينما عرض له حرفا"6

يعرفه القسطلاني بقوله:" والحروف جمع حرف ، وهو صوت معتمد على مقطع محقق أو مقدر".

وهو في علم الخط:" صورة لفظ حرف التهجي " ، أو هو " العلامة المرسومة الدالة على لفظ الحرف المنطوق " .

ويعرفه الأزهري بقوله:كل كلمة بنيت أداة عارية في الكلام لتفرقة المعاني فاسمها حرف"7

---

[1] مختار عمر،البحث اللغوي عند العرب،عالم الكتب،مصر،ط6،1988،ص93

[2] ابن منظور،لسان العرب ج5 مادة ص و ت ،ص424

[3] محمد الأنطاكي،المحيط في أصوات العربية ونحوهما وصرفهما،دار الشروق،لبنان،ط3،ج1،ص13

[4] تمام حسان،اللغة العربية معناها ومبناها،دار الثقافة،المغرب،1994ص66

[5] ابن منظور،لسان العرب،ج2 مادة حرف ص400

[6] ابن جني،سر صناعة الإعراب،تح:حسن هنداوي،دار القلم،دمشق،سورية ط3،(1413هـ،1993) ج1 ص06

ويعرفه الزمخشري بقوله: "والحرف ما دل على معنى في غيره، ومن ثم لم ينفك من اسم أو فعل يصحبه، إلا في مواضع مخصوصة حذف فيها الفعل واقتصر على الحرف، فجرى مجرى النائب، نحو قولهم: نعم وبلى وإي"[8]

وعرفه المرادي بقوله: الحرف كلمة تدل على معنى في غيرها فقط" [9]

والمقصود بالحرف في التعريفين الأخيرين حروف المعاني

الفرق بينهما :من خلا كل ما تم جمعه يمكننا أن نقول إن الصوت أعم من الحرف،فكل حرف يمكن إعادته صوتيا،وبالمقابل لا يمكننا أن نكتب كل الأصوات.

المقصود بالدراسة الصوتية:

يقصد بها الدراسة التي تنبني على أساس أن الصوت هو الركن الأساس في أي عملية تفسيرية لأي ظاهرة لغوية

وعلى هذا الأساس يظهر لنا العديد من المباحث التي اهتمت بقضايا الصوت ومن بينها.

المحور الثاني:مباحث الدراسات الصوتية

المبحث الأول:دراسة الظاهرة الصوتية بمظهريها الفيزيولوجي والفيزيائي ويقصد بهذا التعمق فيما يعرف بالفونيتيك

المبحث الثاني:دراسة الظاهرة الصوتية بمظهرها الوظيفي أثناء الإنجاز الفعلي للكلام في سياق معين ويقصد بهذا التعمق فيما يعرف بالفونولوجيا

وقبل الولوج إلى أهم المباحث الصوتية ،وجب علينا التطرق إلى قضية مهمة تتعلق بعلاقة صوت الكلمة بمعناها،وقد اكتسبت هذه القضية أهميتها من أمرين:

الأول:كونها ضاربة بأعماقها في التاريخ اللغوي في تراث العديد من الأمم

الثاني:تعد من أهم مقولات الدرس اللغوي الحديث الذي رأى باعتباطية العلاقة بينهما

أ-علاقة صوت الكلمة بمعناها

ويمكننا أن نجمع الآراء حول هذه القضية في اتجاهين

الرأي الأول: يرى أن هناك علاقة بين صوت الكلمة ومعناها ويمكن تتبع هذا الرأي تاريخيا كما يلي:

فعند اليونانيين: يرى أفلاطون وأستاذه سقراط والسوفسطائيون أن الصلة بين الألفاظ ومدلولاتها صلة طبيعية ذاتية أي أنها تثير في الذهن مباشرة مدلولاتها المخصصة لها، مع إدراكهم أنّ الصلة قد تنقطع نتيجة لتقادم العهد آو تطور الأصوات وان لم يستطيعوا إثبات هذه الصلة في بعض الألفاظ، لجؤوا إلى افتراض أن الصلة الطبيعة كانت واضحة سهلة التفسير في بدء نشأتها، ثم تطورت الألفاظ ولم يعد من اليسير أن نتبين بوضوح تلك الصلة، او نجد لها تعليلاً او تفسيراً.

---

[7] ابن منظور،لسان العرب،ج2 مادة حرف ص 400

[8] الزمخشري ، المفصل في صنعة الإعراب تح: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط1 (1993م)، ص379

[9] أبو محمد المرادي المصري ،الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 (1413هـ = 1992م)، ص20

وأما علماء العرب القدامى فيمثل القرن الثاني الهجري البدايات الرائدة لإدراك صلة الأصوات بالمعاني حيث نجد إشارات الصلة بين اللفظ ومدلوله عند الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه. حيث قال الخليل: كأنهم (العرب) توهموا في صوت الجندب استطالة ومداً، فقالوا: صَرَّ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا :صرصر.
وقال سيبويه أيضا ومن المصادر التي جاءت علي مثال واحد حين تقاربَتْ المعاني: النَزَوان والنقزان والقفزان وانّما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع.
وفي القرن الثالث الهجري فسّر المعتزلة الظواهر اللغوية تفسيراً عقلياً، فقد نسب السيوطي (ت 911 هـ) إلي عباد بن سليمان الصيمري من المتعزلة أنه يرى أن بين اللفظ ومدلوله صلة طبيعية، واحتج بأنّ الألفاظ إزاء المعاني لم توضع اعتباطاً، وإنما اختار لكل لفظ معناه الذي توحي به أصواته.
وفي القرن الرابع الهجري يأخذ ابن دريد (321هـ) في كتابه (الاشتقاق) بالصلة الطبيعية في تفسيراته علي العلاقة بين اللفظ ومدلوله، حيث فسر تسمية العرب ابناءهم تفسيراً يعتمد على هذه العلاقة الطبيعية، يقول " واعلم أن للعرب مذاهب في تسمية أبنائها، فمنها ما سّموه تفاؤلاً على أعدائهم نحوه غالب، غلاب و... ومنها ما سمي بالسباع ترهيباً لأعدائهم، نحو: أسد، وليث وفراس، وذئب و ..
وفي دراسة ابن جني لهذه الفروق اللغوية، بَلْوَرَ مفهوم الصلة بين اللفظ ومدلوله الذى وضعه في أربعة أبواب من كتاب الخصائص، وهي:
الباب الأول: تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني: يربط ابن جني بين كَلِمَتْي (المسك والصوار) فيقول: إن كلاً منهما يجذب حاسّة من يَشّمُهُ، أى إنّ المسك في رأيه إنما سمي كذلك لأنه يمسك حاسة الشم ويجتذبها.
الباب الثاني: الاشتقاق الأكبر: ... الكلمة مهما قلّبتها تشتمل علي معنى عام مشترك، ويضرب لنا مثلاً بمادة (ق س و)
الباب الثالث: تصاقب (أي تقارب) الألفاظ لتصاقب المعاني: يذهب إلي أن مجرد الاشتراك في بعض الحروف يكفي أحيانا للاشتراك في الدلالة. فالهزّ والأزّ متقاربان في المعني، وهما أيضاً متقاربان في اللفظ.
الباب الرابع: امساس الألفاظ أشباه المعاني: أي وضع الألفاظ على صورة مناسبة لمعناها وتجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير، نحو الزعزعة والقلقلة.
وأما عند المحدثين العرب فنجد أحمد فارس الشدياق في كتابه الساق على الساق؛حيث يرى أن كل حرف يختصّ بمعنى من المعاني دون غيره وهو من أسرار اللغة العربية التي قلّ من تَنَبَّهَ لها. أمّا صبحي الصالح، فلم يؤيد وجود صلة بين الألفاظ ومعانيها فحسب، بل وأُعْجِبَ بهذا الرأى ايضاً،... فيقول: " أما الذي نحن نريد الآن بيانه، فهو ما لاحَظَه علماؤنا من مناسبة حروف العربية لمعانيها، وما لمحوه في الحرف العربي من القيمة الموحية"
يقول محمد المبارك: "للحرف في اللغة العربية ايحاء خاص، فهوان لم يكن يدل دلالة قاطعة على المعنى، يدلّ دلالة اتّجاه وإيحاء، ويثير في النفس جوّاً يهيئ لقبول المعنى، ويوجه إليه ويوحي به"
الرأي الثاني: ينفي وجود علاقة لصوت الكلمة بمعناها ويمكنا إبراز ذلك كما يلي:
فعند اليونانيين. يرفض ارسطو فكرةَ استاذه افلاطون ويري أن الصلة هي عرفية اصصلاحية يتواضع الناس عليها في مجتمع ما، ويرى سقراط أن بعضَ الألفاظ له صلة

طبيعيةُ بالمعني وبعضها الآخر ليس له صلة طبيعية، وإنما اصطلح الناس على الألفاظ لتدل علي المعاني التي يريدون، وترسخت هذه الألفاظ ومعانيها في الأذهان عن طريق التكرار.
وأما عند المحدثين العرب فهناك منكرون لوجود صلة طبيعية بين اللفظ ومعناه، ومنهم:
1-تمام حسان: حيث بعد أن تبنّى نظرية دي سوسير بالنسبة إلي العلاقات اللغوية للتفكير، عقّب عليها بقوله " وليس في الفكر ما يفرض شكلاً معينا للرموز الصوتية، فهذه الرموز موضوعة وضعاً اعتباطياً" " ...فالعلاقة بين الكلمات ومعانيها علاقة عرفية محددة بالاستعمال، ومدونة في المعجم"
2- عبده الراجحي: ينكر وجود مناسبة بين الألفاظ ومعانيها، فيقول :غير أن اقتناع ابن جني بهذا الرأي، وإعجاب الدكتور صبحي الصالح به لا يمنع من التأكيد على أن أهل اللغة بوجه عام يطبقون على رفضه، وَ يَرون أنه ليس هناك مناسبة بين اللفظ ومدلوله، وليست هناك علاقة بين الرمز والشيء والذي يرمز إليه.
-3رمضان عبد التواب: حيث بعد أن نقل رواية السيوطي، شكك في صحتها، وقال معقباً عليها : " فإنه لو صحّ ما قاله لاهتدى كل إنسان الى كل لغة على وجه الارض"
-4إبراهيم أنيس :يقول " والأمر الذي لم يبد واضحاً في علاج كل هؤلاء الباحثين هو وجوب التفرقة بين الصلة الطبيعية الذاتية والصلة المكتسبة، ففي كثير من ألفاظ كل لغة نلحظ تلك الصلة بينها وبين دلالتها،ولكن هذه الصلة لم تنشأ مع تلك الألفاظ أو تولد بمولدها وانما اكتسبتها اكتساباً بمرور الأيام وكثرة التداول والاستعمال"
وأما عند المحدثين غير العرب فنجد دي سوسير De Saussure من أشهر المعارضين لأصحاب الصلة بين الألفاظ والدلالات، إذ يراها اعتباطية لا تخضع لمنطق أو نظام مطّرد، ومع اعترافه بتلك الصلة في الألفاظ التي تعد بمثابة الصدى لأصوات الطبيعة ، ويقرر أنها من القلة في اللغات، ومن الاختلاف والتباين باختلاف اللغات الإنسانية، بحيث لا يصحّ أن نتخذ منها أساسا لظاهرة لغوية مطّردة، او شبيهة بالمطّردة.